الاتجاهات الفلسفية وانتقالها إلى العالم الإسلامي الليبرالية أنموذجا

أ. أروى محمد العقلا*

سلم البحث في ١٤٤٠/٥/٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٠/٧/١٥هـ

ملخص البحث:

انتشر الفكر الليبرالي في المجتمعات بصفة عامة، وازداد معه من الجدل والنقاش في أوساط المثقفين، بين داع إليه ومحذّر منه، على نحو يستدعي الوقوف حولها لمعرفة حقيقتها، وبيان جذورها في المنظومة الفكرية الغربية، وكذلك بيان علاقتها ببعض المفاهيم الغربية كالفلسفة، والحرية. من أجل ذلك كله، وقع الاختيار على موضوع بعنوان: (الاتجاهات الفلسفية وانتقالها إلى العالم الإسلامي الليبرالية "أنموذجا")، ويتكون هذا البحث من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، تتضمن النتائج والتوصيات، خصص الفصل الأول: لبيان أثر الليبرالية في الفكر الإنساني، وأفرد الفصل الثاني: لبيان أثر الليبرالية في العالم العربي، وبين في الفصل الثالث: التعرف على بعض أعلام الفكر الليبرالي، ومنهم: جون لوك، ومحمد أركون، وكانت النتائج التي أسفر عنها البحث: أن الليبرالية مذهب فلسفي، تغلغل في الفكر الغربي، من القرن الرابع عشر الميلادي، تأثر بحركة الإصلاح الديني التي كانت تهز المجتمعات الغربية في تلك الفترة، وأنها مذهب يقوم على الفردية والحرية والاستقلالية والعقلانية، ويبني على هذه الأركان تصوراته للفكر والحياة، وقد كانت ثمة توصيات خلص إليها البحث، لعل منها: تكثيف الجهود العلمية والأكاديمية حول مزيد من البحث عن الليبرالية لكشف أهدافها وأغراضها الفكرية وخطرها على المجتمعات عامة، والإسلامية خاصة، وضرورة السعي إلى ترجمة بعض الكتابات التي كتبها الليبراليون مما يحوي خلاصة أفكارهم الخطيرة، على أن يصحب تلك الترجمات دراسات نقدية تبين وجه الخطورة فيها، ومدى مخالفتها لتعاليم ديننا الحنيف.

Abstract:

Liberal thinking spread in societies in general, and increased with it a lot of debate among the intellectuals, between calling for it, and warring from it. In a way that requires standing around it to know its truth, and to show its roots in the Western intellectual system, as well as its relationship with some Western concepts such as philosophy and freedom. For all these

* محاضره في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة والثقافة الإسلامية في جامعة أم القرى.

reasons this topic has been chosen entitled "Philosophical Trends and Their Transition to the Liberal Islamic World" "Libral as a model.", The research consists of an introduction and three chapters, Chapter I: The Impact of Liberalism on Human Thought, Chapter II: The Impact of Liberalism in the Arab World, Chapter III: The famous of liberal thought. John Locke and Mohammed Arkoun, After this deep reading in liberal thought, and some of its effects in the Arab world, the following conclusions were reached: First, liberalism is a philosophical doctrine deeply affected by Western thought, of the fourteenth century, influenced by the movement of religious reform that was shaking Western societies at that time. Second: Liberalism is a philosophical doctrine based on individualism, freedom, independence and rationality, and it is based on these concepts of thought and life. After learning about the truth of liberal thought, and some of its effects on Arab societies, the following recommendations were reached: First, intensify the scientific and academic efforts on further research on liberalism to expose its objectives and intellectual purposes and its danger to the societies in general, and Islamic in particular. Second, it is necessary to translate some writings written by the liberals, which contains a summary of their serious ideas, accompanied by those translations critical studies showing the seriousness of them, and the extent of the difference from the teachings of our religion Islam.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين؛ محمد النبي الأمي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، الذي أرسى أسس الدين، ورسم معالم التشريع الحكيم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإن الفكر الليبرالي، قد انتشر في أوساط المجتمعات عامة، وانتشر معه كثير من الجدل والنقاش في أوساط المثقفين، بين داع إليه، ومحذّر منه. على نحو يستدعي الوقوف حولها لمعرفة حقيقتها، وبيان جذورها في المنظومة الفكرية الغربية، وكذلك بيان علاقتها ببعض المفاهيم الغربية كالفلسفة، والحرية. من أجل ذلك كله، وقع الاختيار على موضوع بعنوان: **الليبرالية وأثرها على العالم الإسلامي.**

هيكل البحث:

يقع البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

التمهيد: في التعريف بمفردات العنوان، وبيان الأركان التي تقوم عليها الليبرالية. والفلسفة. وفيه، أربعة مطالب:

المطلب الأول: في التعريف بالفلسفة.

المطلب الثاني: في التعريف بالليبرالية.

المطلب الثالث: في الأركان التي تقوم عليها الليبرالية.

المطلب الرابع: الفردية في الفلسفة الليبرالية.

المبحث الأول: أثر الليبرالية في الفكر الإنساني. وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:
المطلب الأول: غرس الإلحاد والبعد عن الدين.
المطلب الثاني: إحداث الخلل في منهج التلقي والاستدلال.
المطلب الثالث: الاقتصار على الأخذ بالمحسوسات، وتكذيب كل الأمور الغيبية.
المبحث الثاني: أثر الليبرالية في العالم العربي. وتحته مطلبان:
المطلب الأول: الآثار الاجتماعية.
المطلب الثاني: الآثار السياسية.
المبحث الثالث: من أعلام الفكر الليبرالي. وتحته مطلبان.
المطلب الأول: التعريف بـ(جون لوك).
المطلب الثاني: التعريف بـ(محمد أركون).
الخاتمة، وتتضمن النتائج والتوصيات.

التمهيد: في التعريف بمفردات العنوان، وبيان الأركان التي تقوم عليها الليبرالية. والفلسفة

المطلب الأول: التعريف بالفلسفة

تعريف الفلسفة الحديثة:

نشأ مفهوم الفلسفة الحديثة في القرن السابع عشر الميلادي. وعرفها (ديكارت) –وهو الذي يعرف بأبي الفلسفة الحديثة، ومؤسسها– بأن: "كلمة (فلسفة) تعني: دراسة الحكمة، ولسنا نقصد بالحكمة مجرد الفطنة في الأعمال، بل معرفة كاملة بكل ما في وسع الإنسان معرفته بالإضافة إلى تدبير حياته وصيانة صحته واستكشاف الفنون. ولكي تكون هذه المعرفة كما وصفنا، فمن الضروري أن تكون مستنبطة من العلل الأولى"[١]، وقد بين (ديكارت) أن لهذه الفلسفة، قواعد ومبادئ، لا بد من توفرها فيها، أما المبادئ التي تقوم عليها هذه الفلسفة الحديثة، فمن أهمها: تحرير التفكير الإنساني من كل سلطة. وفصل الفلسفة عن الدين أو العقل والعاطفة، وتحديد سلطة كل منها[٢].

وقد نتج من هذه الفلسفة مدرستين فكريتين، تمثلان الاتجاهات الفكرية فيها:
أولهما: الواقعية، وهو الفلسفة القائلة بوجود الأشياء الخارجية فقط، وأن لا شيء وراءها من عقل أو روح أو إله.
والثاني: المثالية، الذي يقول بأن علة وجود الأشياء هو مجرد تفكيرنا في أنها موجودة، فإن لم يوجد الفكر فيها فلا وجود للأشياء[٣]

تعريف الفلسفة المعاصرة:

الفلسفة المعاصرة هي عبارة عن نقدٍ ودراسةٍ للمعرفة العلميّة ضمن إطار ما يطلق عليه الدراسة النقديّة للعلم، والتي يتوجه اهتمامها مرةً أخرى إلى دراسة معنى (الوجود الإنساني) ومعالجة قضاياه الاجتماعيّة والسياسيّة .

خصائص الفلسفة المعاصرة:

١- نلاحظ اختفاء المذاهب والأنساق الفلسفية الكبرى التي تميزت بها الفترات الماضية اذا بدأ الاهتمام بالمنهج والحرص على الوضوح في الفكرة والمعنى ،وبدأ الاستخدام الدقيق للغة يطغى على اهتمام فلاسفة هذا العصر ،فقد ظهر المنهج الفينومنولوجي والمنهج المنطق الرياضي.

٢- التمرد على النزعة المثالية الذي عبر عن نفسه في أشكال عديدة من التفكير سادت في الفلسفة المعاصرة الماركسية الوضعية والفلسفة التحليلية البراغماتية، والوجودية وغيرها من المذاهب ولعل هذا التمرد هو في حقيقة رد فعل وثورة على النزعة العقلية بوجه عام وكان من نتائج رفض الفلسفة المثالية أن أصبح الاتجاه إلى الواقع وإلى الإنسان أمرا طبيعيا فنزع كثير من الفلاسفة المعاصرين إلى الواقعية وترتب على هذا نقد فكرة المطلق لدى معظم الفلاسفة وازدياد اهتمام بالإنسان الفرد.

٣- أصبحت الفلسفات المعاصرة أكثر ارتباط بالعلم وظهر ذلك في اعتماد المنهج العلمي والاستعانة بنتائج العلوم الطبيعة والنظريات العلمية.[٤]

- رينيه ديكارت(١٥٩٦- ١٦٥٠):

يُعرف ديكارت على أنه «أبو الفلسفة الحديثة»، وذلك لأن البرنامج الفلسفي الذي وضعه لنفسه والمنهج الذي اتبعه في تحقيق هذا البرنامج قد شكل قطيعة مع فلسفات العصور الوسطى، وأحدث تأثيراً بالغاً في الفلاسفة المحدثين اللاحقين.

- سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧):

وفي أواخر الخمسينات من القرن السابع عشر تعرف سبينوزا على مفكر حر هو لود فيج ماير، وكون معه ومع مجموعة من الأصدقاء المقربين جماعة قراءة ودراسة انصب اهتمامها على دراسة فلسفة ديكارت. وعندما لاحظت الجماعة براعة وتعمق سبينوزا في الفلسفة الديكارتية طلبت منه أن يكتب لها ملخصاً شاملاً لها، وهكذا أخرج سبينوزا أول مؤلفاته وهو كتاب «مبادئ الفلسفة الديكارتية» وعندما بدأ سبينوزا من خلال هذه الجماعة في وضع فلسفته الخاصة بدأت الجماعة في دراسة

فلسفته ومناقشتها معه، تاركة فلسفة ديكارت. وفي نفس هذه الفترة بدأ سبينوزا في تأليف أول عمل فلسفي خاص به وهو رسالة في تهذيب العقل.

- ديفيدهيوم(١٧١١-١٧٧٦):

يعد فيلسوف الطبيعة الإنسانية لأنه وضع نظرية متكاملة تفسر المعرفة والأخلاق والسياسة والدين، بل والاقتصاد أيضاً، على أساس الطبيعة الإنسانية، بمعنى أن كل ما ينتجه الإنسان من علوم ومعارف ونظم مشروط بطبيعته الإنسانية المكونة بصفة أساسية من مجموعة من الرغبات والانفعالات والمشاعر والاعتقادات ومن بنية ذهنية معينة قوامها ملكات معرفية تقف على رأسها ثلاثة هي الإدراك الحسي، والمخيلة والفهم.

تعريف الليبرالية:

يتفق الباحثون المعاصرون أن الليبرالية، متولدة وناشئة عن العلمانية، أما الليبرالية نفسها: فهي في الأصل مصطلحٌ أجنبيٌّ مُعرَّب، مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وهي تعني: (التحررية)، ويعود اشتقاقها إلى (Liberty) في الإنجليزية، و(Liberte) في الفرنسية، ومعناها الحرية. ولم يتفق صنَّاع الليبرالية والمنظِّرين لها على تعريفٍ يُحدد معناها بوضُوح، لكنهم اتفقوا على وصفها بـ «**الحرية المطلقة**». وعرفوها بأنها: "**مذهب رأسماليّ ينادي بالحريّة المطلقة في الميدانين الاقتصاديّ والسياسيّ**"(٥).

المطلب الثاني: الأركان التي تقوم عليها الليبرالية

تقوم فكرة الليبرالية على أركان وأسس، هي مرتكزاتها، وأهمها ما يلي:

- **الاستقلالية**؛ ومعناها: التحرر التام من كل أنواع الإكراه الخارجي: دولة، جماعة، فردًا؛ ثم التصرف وفق ما يُمْليه قانون النفس ورغباتها، والانطلاقة والانفلات نحو الحريات بكل صورها: مادية، سياسية، نفسية، ميتافيزيقية (عَقَدِيّة).
- **الحرية**؛ حيث إن معتنقيها يقصدون بها أن يكون الإنسان حرًا في أن يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء. فالليبرالية: تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بدين، ولا نصّ مقدّس، ولا عادات ولا تقاليد، ولا أي أمر يعيق الحرية الفردية.
- **الفردية**؛ وهي السمة الأساسية، لما يسمى بعصر النهضة، وقد ارتبطت الفردية بالحرية ارتباطا وثيقا، فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد مع حريته. ولهم في

الفردية مفهومان مختلفان:

المفهوم الأول: الفرديّة بمعنى الأنانية وحبّ الذات.

وهذا المعنى هو الذي غلب على الفكر الغربي، منذ عصر النهضة وإلى القرن العشرين، وهو المفهوم التقليدي لهذا المصطلح في أدبيات الفكر الليبرالي. وهو من أبرز ما يروج له الليبراليون؛ زاعمين من خلاله، أن الليبرالية، تدعو إلى الاهتمام بحقوق الأفراد، ومزاياهم الشخصية. في حين أن ما يدعون إليه من العناية بالفرد والاهتمام به، هو في حقيقته مضر بالفرد؛ باعتباره فردا منتسبا للمجتمع، فإذا فسد المجتمع من خلال إطلاق الحريات الشخصية بدون قيود، نتج عن ذلك انتشار كثير من المفاسد الأخلاقية، كالزنا، والشذوذ الجنسي، والربا، وشرب الخمور، على نطاق الحرية الفردية، والاستقلالية الشّخصية. ولا شك أن شيوع ذلك في الناس، وانتشار الأضرار الناتجة عن ذلك، ككثرة الجرائم الناتجة عن شرب الخمور، وحوادث السيارات، وانتشار اللقطاء، والأولاد المشردين، يؤدي في النهاية إلى فساد المجتمعات، واختلال النظام فيها. وهو أمر يؤثر بالضرورة على الأفراد أنفسهم؛ فهم ليسوا بمعزل عن ما يحدث في المجتمعات التي يعيشون فيها.

المفهوم الثاني: الفردية بمعنى استقلال الفرد عن العمل المتواصل، والاعتماد على النفس.

وهذا هو الاتجاه البراغماتي، وهو مفهوم حديث للفردية، ويعتبر امتداد للمفهوم السابق، لكن باعتبار المعنى الوظيفي المرتبط بالعمل، والكسب المادي[٦].

- **العقلانية**؛ وفيها إشارة إلى تقديمهم وتقديسهم للعقل، أو أنهم أهل عقل وحكمة ومَن عداهم ليس لديه اهتمام بالعقل، وتعاملوا مع العقل بالطريقة المنحرفة التي تعامل بها أهل البدعة عموما والمعتزلة على وجه الخصوص[٧].

ويلاحظ من هذه الأركان المكونة للفكر الليبرالي:

أنها في جملتها ترسخ لمفهوم الفردية، بمفهومها الفلسفي الغربي، الذي يدعو إلى الحرية المطلقة وعبادة الفرد نفسه وهواه وشهوته. وقد عبر عن ذلك –بكل وضوح– منظروا الليبرالية، في الحضارة الغربية؛ سواء في فرنسا أو في بريطانيا، بأنها التفاتة مطلقة إلى الفرد والذات، وهي أيضا تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بدين، ولا نص مقدس، ولا عادات، ولا تقاليد، ولا أي أمر يعيق الحرية الفردية[٨].

المطلب الثالث: الفردية في الفلسفة الليبرالية:

وبناء على ما سبق، من وصف الليبرالية بـ(الحرية المطلقة)، مع ما ظهر في

تعريفه، من كونه ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي، فإنه يمكن التأكيد على أن مفهوم الليبرالية، ترتكز –وفق كتابات (جون لوك) ومن معه من منظريه– على قيم الفردية، وخاصة حرية الاستثمار والتجارة، دون التقيد بالقواعد التي كانت سائدة إبان النظام الإقطاعي.

وقد لخصت الليبرالية مطالبها في شعاره المعروف (دَعْهُ يَعْمَل، دَعْهُ يَمُرُّ) وفي المذهب الفردي الذي يعني: استقلال الفرد عن المجتمع والدولة، أي: أن للفرد حقوقا مطلقة ومستقلة سابقة علو وجودهما، فيما يسمى بحقوق الفرد الطبيعية[٩]. يقول الدكتور (وليد الرميزان): "وقد وضع لوك اللبنة الأولى في صياغة نظريته حول الليبرالية بدراسة الطبيعة البشرية معتمدا على نظرته لحالة الطبيعة في الفترة الزمنية التي سبقت نشوء المجتمعات؛ حيث كان فيها الأفراد، ذكورا وإناثا، يكوّنون مجتمعات صغيرة تتسم بالتنظيم الذاتي ويتمتع فيها الأفراد بحقوقهم الطبيعية، التي منها (حق الحياة والحرية والملكية) ويرى (لوك) أيضا، أن ما يمكن تعلمه من حالة الطبيعة هو تميز الطبيعة البشرية بالحرية والمساواة والتفكير، فالناس كانوا أحرار بطبيعتهم، وقد جبلت النفس البشرية على عدم الخضوع لأحد، كما كان كل فرد يعتبر من منظور الطبيعة مساو لجميع الأفراد الآخرين في حريته، وله نفس الحقوق الطبيعية، ويتمتع أيضا بعقل مفكر يجعله قادرا على استنباط القوانين الأخلاقية (قوانين الطبيعة) التي يعيش بموجبها، فما يستنبط بالعقل يعتبر طبيعيا ونتاجا للطبيعة."[١٠]

وهذا البعد الفلسفي لليبرالية– والقائم على تقديس الفرد، وإعطائه الأولوية على المجتمع– اتجاهٌ واضحُ الخلل، وبيّنُ الغلط؛ لما فيه من تعارض مع كثير من القيم المجتمعية، التي تعتمد عليها المجتمعات في سبيل الارتقاء والاستقرار. ولذلك: لاقى انتقادا من بعض مفكّري الغرب أنفسهم. يقول الأستاذ (شحاتة صقر) مقررا هذا المعنى: "لم تكن الليبرالية محل إجماع بين المفكرين الغربيين، حتى أولئك الذين تبنوا الفكرة –وهم الأكثرية– اضطربوا في تحديد نطاقها ورسم حدودها، بعد أن لمسوا كثيرا من الخلل في التطبيق.

فالحرية المطلقة التي تدعو إليها الليبرالية تتعارض مع قيم أخرى، كالعدالة والمساواة، بل وحريات الآخرين، فحرية الفرد لا تصح أن تكون سببًا في شقاء الفرد الآخر، كما لا تصح أن تكون سببًا في إلغاء حرية الفرد الآخر، فما من حرية مطلقة ينادى بها للفرد، إلا وفيها إلغاء لحرية فرد آخر، فهذا الشعار الجميل في مظهره،

يحمل في تطبيقاته مشاكل كثيرة، شعر بها وعاشها دعاتها وشعوب أوربا، ولذا اضطروا، إلى قيد: عدم الإضرار بالآخر. لكن هذا القيد غير محدد، ويختلف من شخص إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى، تمامًا كما هو الحال في المقيّد (الحرية)، وإذا كان هذا القيد مختصًا بالأفعال، فيمنع كل فعل يضر بالآخر، فليس من العقل إغفال قيد الأقوال، فالأقوال ربما لا تَقِلّ خطرا عن الأفعال، فكم من كلمة أشعلت فتنة وحربًا. فالحرية جميلة، والقيد لابد منه، لكن الخلافَ حول معنى الحرية، وحَدّ القيد المحدد للحرية"[١١].

المبحث الأول
أثر الليبرالية في الفكر والحياة

تحدث العلماء والكتاب المعاصرون، عن كثير من الآثار التي ترتبت على انتشار الفكر الليبرالي، في أفكار البشرية، وفي حياتهم العامة. وفي التداخل الحاصل بين الأمرين: الفكر والحياة؛ ما يبرر إدراجهما في عنوان واحد؛ فالآثار الواقعة في فكر الإنسان، مؤثرة –بالضرورة– على حياته العامة، والخاصة.

وعليه أقول: لقد بدأت التحولات الفكرية في أوروبا في عصر النهضة، وهو العصر الممتدّ من القرن الرابع عشر الميلادي، إلى القرن السابع عشر الميلادي. وقد كانت هذه التحولات متدرجة، وكانت البداية الفعلية في (إيطاليا) من خلال الحركة الأدبية التي قامت بإحياء الآداب الإغريقية، دون أي تعرض للأوضاع الدينية والاجتماعية، ثم جاءت حركة الإصلاح الديني التي هزت المجتمع الغربي بقوة، وكان دورها في الاتجاه نحو الليبرالية أقوى من الحركة الأدبية. فنشأت الليبرالية في هذا المناخ الفكري، متأثرة بهذه المعطيات. وأبرز المعالم التي كان لها دور بارز في الاتجاه نحو الليبرالية:

أولا: الحركة الأدبية ذات النزعة الإنسانية (إحياء الآداب الإغريقية).

ثانيا: حركة الإصلاح الديني.

ثالثا: الفكر التجريبي المادي[١٢].

وقد أحدثت الليبرالية في الفكر الإنساني عامة، آثارا ملموسة، يمكن تحديدها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: غرس الإلحاد والبعد عن الدين

ويبدأ ذلك بترسيخ فكرة الشكّ، وعدم اليقين بالمعطيات العقدية والغيبية. وتبرير إنكارها بأنها من علامة جودة الفكر، ويقظة العقل. فيوهمون الشخص بضرورة الشك

والتردد في الأمور الغيبية، وعدم القطع بالصحة أو البطلان، أو الخطأ، أو الصواب، ونحو ذلك، وعدم وجود القطع واليقين، هو من الريب والشك. وهذا -بلا شك- مخالف لتعاليم الإسلام؛ فمن أساسيات الإسلام: وجود اليقين في التوحيد والإيمان. فالتوحيد والإيمان لا يُغْنِي فيه إلا اليقين الجازم، ولهذا عَدَّه العلماء شرطًا أساسيًّا من شروط لا إله إلا الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ (الحجرات: ١٥)؛ فاشترط في صحة إيمانهم: عدمَ الرّيبة، والريبة، هي: الشكّ والظن. ولهذا جاء الشك والريب وصفا للمنافقين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: ٤٥)، ولقد قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١٣).

يقول الدكتور شحاتة مبينا تأثير الليبرالية في العقائد من خلال غرس الشك في الفكر الإنساني عامة، وفي فكر المسلم ومعتقده خاصة،:" الفكر الليبرالي لا يعتقد عقائد جازمة غير حق الفرد في الحرية الفردية مهما توصل له من أفكار وعقائد وآراء، فهو لا يملك عقيدة يقينية محددة، لأن كل عقيدة قابلة للتغيير، ومن حق الآخر أن يعتقد خلافها، وهذا الفكر لا يملك جوابًا محددا على أوضح الأمور مثل وجود الله -سبحانه وتعالى- وربوبيته، لأن المنهج السيال الذي يعتمد عليه يجعل كل أمر قابل للصواب أو الخطأ، وربما أوصلت المنهجية الليبرالية إلى عقائد متناقضة.

وبهذا يتبين أن الليبرالية تصحح العقائد المتناقضة، والأفكار المتعارضة، ولا تجزم بحقيقة عقدية، فالمنتسب للإسلام منهم يعتقد أن إسلامه صحيح يحتمل الخطأ، وعقيدة الآخر (الكافر) خطأ يحتمل الصواب، ويرفضون الجزم العقائدي في جانب الصحة أو البطلان. وهذا هو الشك بعينه"(١٤).

المطلب الثاني: إحداث الخلل في منهج التلقّي والاستدلال

فبدلا من أن يكون الإنسان يتلقى أموره من الشرع الحنيف والتوجيهات الربانية، يتم صرفه عن ذلك؛ بإحداث قطيعة تامة بين الإنسان وبين مصادر التلقي السماوي، والاستدلال الشرعي. ويكون الأمر مع المسلمين خاصة بتزهيدهم عن التراث الإسلامي، بل والتشويه المتعمد له عقيدة وشريعة. وإيهامه بأن العقل الصرف هو مصدر التلقي، والاستدلال. وأن العقل هو الحكم في كل شيء، فما أحبه العقل يحب، وما كرهه العقل يكره، وما حكم به العقل يؤخذ به، وما رده العقل يرد(١٥).

وهذا المنهج فاسد في منظور الشريعة الإسلامية، بل وفي كافة الشرائع والأديان. فقد رفض الإسلام مبدأ الاقتصار على العقل في كل شيء، وتقديمه على جميع الأصعدة؛ لأن ذلك مما يعارض مفهوم الإسلام الجامع بين العقل والقلب والروح والمادة. فقضية سلطان العقل قضية مضللة، رفضها الإسلام من المعتزلة قديمًا(١٦).

المطلب الثالث
الاقتصار على الأخذ بالمحسوسات وتكذيب كل الأمور الغيبية

ويكون ذلك بدعوى العقلانية، والتحرر من الموروث القديم، ومن الخرافة. ما ذلك إلا لأن عقولهم لا تقبل وجود أشياء غيبية كالملائكة والجن مثلاً؛ لأنهم لا يحسون بها ولا يرونها، فيريدون إنكارها، يقول بعض دعاة (الليبرالية) في عبارة صريحة: "إن الإيمان بالغيب خرافة"(١٧)، وهذا مخالف لما ثبت واستقر في العقيدة الإسلامية، من وجوب الإيمان بالغيب، وكونه من لوازم الإيمان وأركانه. فقد وصف الله تعالى المؤمنين المتقين بأن من علاماتهم أنهم يؤمنون بالغيب، قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٢– ٣).

يقول (ابن أبي العزّ) مقررا أهمية الإيمان بالغيب في عقيدة المؤمن: "فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقّال والفوّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠) . وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾

المبحث الثاني
آثار الليبرالية في العالم العربي
المطلب الأول: الآثار الاجتماعية

يمكن تحديد أهم الآثار الاجتماعية الناتجة عن انتشار الفكر الليبرالي في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية، والتي يتجلى من خلالها اهتمام الفكر الليبرالي،

بالفرد على حساب مصلحة المجتمع، وعلى حساب مراعاة جوانب الصلاح والاستقرار فيه. ويكون ذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: انتشار الفساد الأخلاقي، وذيوع الرذيلة في الأفراد.

وهذا الأمر –وإن كان الداعي إليه هو مراعاة حقوق الأفراد، كما يروج له الفكر الليبرالي– إلا أنه يعود بالضرر والفساد في أوساط المجتمعات الإسلامية. فيسعون لنشر الزنا واللواط، وشرب الخمور، والتعامل بالربا والميسر، بدعوى ممارسة الحقوق الشخصية والفردية. فمن بديهيات الليبرالية (إباحة الزنا)، وهي إباحة عقائدية، وليست مجرد ممارسات عملية، ولا يمكن أن يكون الرجل ليبراليًّا وهو يعتقد تحريم الربا، والبيوع المنهي عنها لأن هذا يتعارض مع حرية التجارة والاقتصاد، كما أنه لا يمكن أن يكون ليبراليًّا وهو يعتقد تحريم الزنا والتبرج والشذوذ الجنسي لأن هذا يناقض الحرية الشخصية[١٨].

ثانيا: إفساد المرأة المسلمة، بدعوى إتاحة الفرصة لها، ومراعاة حقوقها الشخصية والفردية.

وهذا في حقيقته استغلال للمرأة؛ بجعلها دُمْيَة يتلاعب بها المنحرفون سلوكيًّا وأخلاقيًّا، وجعلِها مجرّد أداة للمتعة واللهو، دون تحمل للمسؤولية، ودون الالتزام نحوها بشيء. فيسعون إلى إقناع المرأة –بناء على حريتها الشخصية– على القبول بالعلاقات المحرمة، وغير المشروعة، والتي تكون هي الخاسرة في كل حال؛ حيث لا التزام نحوها ممن يتخذها خليلة له، ويتظاهر بأنه لا يعدد الزوجات[١٩].

ولا شك أن في ذلك دعوة صريحة، لانتشار الزنا والعلاقات المحرمة، في المجتمعات. وهو ما ينتج عنه كثير من الآثار والكوارث المجتمعية؛ كانتشار أولاد الزنا، واللقطاء، والمشردين، والجرائم المختلفة.

ثالثا: إماتة وإضعاف جانب الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بدعوى الحفاظ على الحريات الشخصية، وهذا أمر أثبتت التجارب تسببها في فساد المجتمعات؛ بحيث ينتشر الفساد بكل أشكاله وصوره، دون أن ينكره أحد، فتموت الغيرة على الشعائر في نفوس المسلمين عامة.

وقد بين النبي ﷺ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح المجتمع وضبط أمنه وسلامته، حيث مثل ذلك بمثال واضح ومعقول؛ حين قال: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم

أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[٢٠].

فقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث الشريف، أن هلاك المجتمع، إنما هو نتيجة محتومة؛ لترك أصحاب المنكر والعصاة يعيثون في الأرض فسادا، وعدم الأخذ على أيديهم. وإن المنكر قد يرُى في أول الأمر هينا وبسيطا، كالخرق في السفينة، فإن ترك مع بساطته وعدم اتساعه، فشا في المجتمع وازداد حتى يؤول في آخر المطاف إلى بلاء عظيم، وقد يؤدي إلى القضاء عليه، وهذه سنة من سنن الله عز وجل أشار إليها في قوله:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾(الأنفال:٢٥) في هذا الحديث مثل النبي ﷺ، المجتمع الإنساني بركاب سفينة، ومثل النظم والآداب التي تحفظ هذا المجتمع وتعصمه –بإذن الله– بهيكل السفينة وجوانبها وأصبح واضحا من التمثيل أن على كل راكب أن يحافظ على سلامة حدودها التي حدها الله بها بين الحياة والموت والنجاة والهلاك[٢١].

رابعا: الانبهار بالحضارة والثقافة الغربية.

وقد ظهرت الآثار السلبية لذلك، في كثير من سلوكيات الناس عامة، وجيل الشباب منهم على وجه الخصوص. حيث انتشر تقليد تلك الحضارة المادية البحتة، في الأمور الشكلية والظاهرية المتعلقة باللبس والزينة، وطريقة الكلام، على نحو ظهر فيه بوضح، انسلاخ كثير من الشباب عن هويته العربية والإسلامية. بل وصل الأمر ببعضهم إلى الخجل من الانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية، في نوع من الضعف، وغياب الثقة بالنفس، يلاحظه كل متأمل.

وهذا أمر يعبر عنه بالصدمة الحضارية، وهي نتيجة لواقع المسلمين المؤلم من التخلف التقني والعملي التجريبي وهيمنة الحضارة الغربية في جانبها المادي. وهؤلاء لم يرفعوا رأسا بالجانب الحضاري في تشريعات الإسلام التي لم يصل إليها الغرب، ولن يصلوا إليها في تشريعاته وحفظه لحقوق الإنسان وحفظ كرامته وتوازنه بين حقوق الفرد والجماعة، وعظمة تشريعاته المعجزة التي تصلح لكل زمان ومكان وحتى لا نغرق في الواقع المؤلم فإن المؤشرات الحالية واستشراف المستقبل تبين أن المسلمين في طريق النهوض الحضاري وأنهم بدأوا في امتلاك كثير من أدوات التقنية والعلم[٢٢].

المطلب الثاني: الآثار السياسية

دخلت الليبرالية إلى البلاد الإسلامية بشكل تدريجي وقد بدأ ذلك في أواخر عهد الدولة العثمانية التي كان لها دور كبير في المحافظة على ديار الإسلام، والحكم فيها بالشريعة الإسلامية في الجملة. ولكن الدولة العثمانية رسخت الانحراف العقدي من خلال تبني الإرجاء والتصوف، وأهملت الشورى والمشاركة السياسية، وهذا ما جعل الدولة والمجتمع بحاجة ماسة للإصلاح، وقد كان هذا أثناء صعود الدول الأوروبية وقيام حركات التحرر بعدد من الثورات ضد العهد القديم مما نتج عنه تغير كبير في الأنظمة السياسية، والتركيبة الفكرية والاجتماعية في أوروبا.

في هذه الأثناء بدأت المطالبة بالإصلاح في الدولة العثمانية، ولكن عملية الإصلاح لم تتم بالأسلوب الصحيح، حيث تم ذلك على الطريقة الأوروبية. وقد كانت البداية غير مقصودة لتطبيق الليبرالية كنظام سياسي في الدولة. وقد نتج عن ذلك كله انتشار الفكر الليبرالي، وانتهاز أتباعه والمغرورين به، لتلك الفرصة، وتلك الظروف الراهنة في نشر فكرهم[٢٣]. وهناك آثار سياسية عدة ترتبت على انتشار الليبرالية في أوساط المجتمعات الإسلامية والعربية. يمكن تحديد أبرزها من خلال النقاط التالية:

أولا: إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم وعزلها على الحياة، وحصرها في نطاق المسجد.

ثانيا: الولاء للفكر الغربي، والاستقواء بالأجنبي. وهذا موجود ومشاهد في الواقع. كما أن التنظير في الفكر الليبرالي، يؤيده ويدعو إليه. وقد حذر بعض الغربيين أنفسهم حكوماتهم من استغلال الليبراليين العرب، بغرض تحقيق مكاسب سياسية، أو غيرها. فها هو جون بي آلترمان (Jon B. Alterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والإستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies) يكتب مقالاً بعنوان (الليبراليون الجدد عمالة تحت الطلب) تحدث فيه عن تنامي الدعم الغربي لليبراليين العرب محذراً من أن تعاظم هذا الدعم سيضر الليبراليين العرب ولن يفيدهم، ومحذراً الغربيين من الرهان عليهم. ويعد هذا المقال اختصاراً لمقال آخر كان قد كتبه أصبحت الحاجة ماسة إلى الليبراليين العرب أكثر من أي وقت مضى؛ حيث يرى فيهم بعض الغربيين الأمل والقوى القادرة على مواجهة خطر «القاعدة» لذلك يدعوهم كبار مسئولي الحكومات في واشنطن ولندن وباريس وغيرها من العواصم الغربية إلى موائد الأكل وشرب الخمر.

لقد ازداد الدعم الغربي لليبراليين العرب، لكن يبدو أن تنامي هذا الدعم قد يحدث تأثيراً معاكساً؛ فبدلاً من أن يؤدي إلى تقويتهم فإنه سيؤدي إلى تهميشهم ووصمهم بالعمالة، بل جعل الكثيرين يتشككون في الإصلاح السياسي الذي يسعى الغرب إلى تحقيقه في المنطقة. يعتبر اتخاذ السياسة الغربية لليبراليين العرب قاعدة انطلاق لتنفيذ سياساتها في المنطقة أمراً منطقياً؛ بالنظر إلى التجانس الموجود بين الطرفين؛ فالليبراليون العرب على مستوى تعليمي جيد، ويتحدثون الإنجليزية بطلاقة، وفي بعض الأحيان يتحدثون الفرنسية أيضاً. فالساسة الغربيون يجدون الراحة في التعامل معهم وهم كذاك يحبون التعامل مع الغرب.

لكن إذا أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا، فيجب أن نعترف أن الليبراليين العرب القدامى، قد كبر سنهم وازدادت عزلتهم وتضاءل عددهم، ولم يعد لهم إلا تأثير محدود في مجتمعاتهم والقليل من الشرعية؛ فهم بالنسبة لمواطني بلدانهم وبخاصة الشباب منهم لا يمثلون أمل المستقبل، بل يمثلون الأفكار الغابرة التي لم تنجح في الماضي، ولم يعد لديهم القدرة على استمالة قلوب وعقول أبناء بلدانهم.

إن اهتمام الغرب المتزايد بالليبراليين العرب يُنذر بتأزم موقفهم، ويجعلهم يوصَمون بالعمالة، ليس العمالة الهادفة إلى تحقيق الحرية والتقدم، ولكن العمالة للغرب ومساعدته في مساعيه لإضعاف وإخضاع العالم العربي. بل الأسوأ من ذلك جعلهم يتحولون إلى الغرب؛ حيث يجدون حفاوة الاستقبال تاركين بذلك مجتمعاتهم؛ لأنهم لا يجدون فيها تلك الحفاوة التي يجدونها في الغرب[٢٤].

ثالثا: نشر نظرية العقد الاجتماعي بين الناس. وهي نظرية فكرية فلسفية، تقوم على وجود عقد بين الحاكم والمحكوم، أو بين الدولة والأفراد، انتشرت في الفكر السياسي الأوربي، من الفلسفة اليونانية، والرومانية؛ فكثير من السوفسطائيين بنوا تصورهم للدولة على أساس تعاقدي. ففي الفكر اليوناني، ذهب (كارتيادس) إلى أن الناس كانوا يعيشون قديما بلا قانون، وكان كل منهم يعتدي على الآخر، مما أدى إلى انتشار القلق والخوف؛ ولذلك أبرموا عقدا فيما بينهم يخضعون وفقه لنظام يختارونه. وقد نقل الفلاسفة هذه النظرية إلى المسيحية، وحاولوا التوفيق بينهما. ولكن هذه الفكرة صار لها شأن كبير في العصر الحديث، على يد (توماس هوبز)، وقد عرضها بصورة علمانية محضة، حيث تصور وجود العقد دون أية علاقة بالدين، وأصبحت الأساس النظري للقانون الوضعي والسياسة المعاصرة.

وقد طور (جون لوك) هذه النظرية بين الحاكم والمحكوم، وأضاف عليها تصورات فكرية سياسية، تقضي بأنه إذا لم ينتظم الحاكم بهذا العقد الموجود بينه وبين المحكوم، فإنه يجوز للأفراد الثورة عليه؛ لاسترجاع حقوقهم. وبهذا يقرر (جون لوك) شرعية الثورة على الحكام، ويراها حقا مشروعا للأفراد، لحماية حقوقهم وممتلكاتهم. وقد برر بذلك الثورة الانجليزية على الملكية.[٢٥].

ولا شكّ أن هذا الأثر سيئ جدا، ومخالف للمعلوم من الشريعة الإسلامية، من أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم، محكومة بالكتاب والسنة، الآمران بالسمع والطاعة لولي الأمر، وعدم منازعة الأمر أهله. واللذان تتضافر نصوصهما بتحريم الخروج على ولي الأمر. تجنبا للفتنة وللآثار السلبية والسيئة التي تترتب على ذلك؛ كفوات الأمن وانفلات وحدة السلم الاجتماعي، وانتشار الفوضى والخراب، كما يشاهد في المجتمعات التي لم تلتزم بأوامر تلك النصوص، والله المستعان!

رابعا: إلغاء فريضة الجهاد، وواجب الدفاع عن الأوطان والمقدسات الإسلامية، بدعوى البعد عن العنف والوحشية.

المبحث الثالث
من أعلام الفكر الليبرالي

تقدم أن الليبرالية، فكرة منبثقة عن العلمانية، وعليه فأقطاب العلمانية، ومنظروها يعدون منظرين للفكر الليبرالي. إلا أن هناك أسماء ارتبطت بالفكرة الليبرالية على وجه خاص، أكثر من غيرها، سأكتفي في هذا البحث بإيراد اثنين منهم: أحدهما غربي من أصل كاثوليكي، والآخر، شرقي من أصل إسلامي. ويكون ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التعريف بجون لوك

جون لوك" (JOHN LOCKE) فيلسوف إنجليزي عاش في القرن السابع عشر.

مولده ونشأته:

ولد في مدينة (رينكتون WRINGTON) سنة (١٦٣٢م) وتعلم في مدرسة (وستمنستر). ثم في كلية كنيسة المسيح، في جامعة أكسفورد، حيث تم انتخابه طالبا مدى الحياة. ثم سحبت منه تلك الميزة بناء على مواقفه المتشددة وبعده عن التسامح. فانتقل لدراسة الطب، ومارس التجريب العملي، فكان يلقب في تلك الفترة بـ(دكتور

لوك). واشتغل في تلك الفترة للعمل طبيا لإحدى الأسر السياسية في بريطانيا، فقربه ذلك إلى السياسة والسياسيين. ويذكر المؤرخون والمترجمون له، أن علاقته بتلك العائلة التي كانت تشتغل في السياسة، مكنته من لعب بعض الأدوار في النظريات السياسية القائمة آنذاك، ومن طرح وجهة نظره في السياسة الليبرالية التي كان ينظّر لها.

فلسفته الليبرالية:

بين (لوك) نظرته الليبرالية من خلال الطروحات التي كان يضمنها كتاباته؛ سواء منها المقالات التي كان ينشرها، أو الكتب التي طبع بعضها في حياتها. فقد كان ينشر بعض المقالات في صحيفة كانت تسمى بـ(المقال) كان يصدرها لي كلارك (١٦٨٨م). ثم بعد ذلك بسنة واحدة، أي في سنة (١٦٨٩م) دفع إلى المطبعة ثلاثة كتب جعلته من الشخصيات البارزة في عالم الفكر في أوربا. وظهرت له "رسالة عن التسامح" في مارس ١٦٨٩، في هولندا، ثم ترجمت إلى الإنجليزية في الخريف. وأعقبتها في (١٦٩٠م) "برسالة ثانية عن التسامح". وفي فبراير(١٦٩٠م) أصدر مقاليه عن "الحكم المدني"، وهما حجر الزاوية في النظرية الحديثة للديموقراطية، في إنجلترا وأمريكا، وبعد شهر واحد أخرج كتابه "بحث في العقل الإنساني". وعلى الرغم من إتمامه هذا الكتاب الأخير قبل مغادرته هولندا، فإنه عجل بطبع مقالي "الحكم المدني" قبله، لأنه كان تواقاً إلى تزويد "الثورة الجليلة ١٦٨٨-١٦٨٩ بأساس فلسفي[٢٦].

ومن أبرز ما ضمنه تلك الكتابات:

- النظرية الفلسفية القائمة على تقديم العقل على النقل، وضرورة إخضاع الوحي للعقل عند التعارض، ما أبداه بقوله: "من استبعد العقل ليفسح للوحي مجالاً فقد أطفأ نور كليهما، وكان مثله كمثل من يقنع إنساناً بأن يفقأ عينيه ويستعيض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، للشيخ الدكتور، سفر الحوالي) (ص ١٥٤).
- تقريره لفلسفة اللذة، وأنها هي فكرة الخيرة المطلقة. فمن الأسس التي تقوم عليها نظرته الفلسفية الليبرالية: أنه: يجب أن تُعرّف بأنها هي نفسها كلمة اللذة أو على الأقل تعرف تعريفاً يردها إلى اللذة وعارض نظرية الحق الإلهي، وقال بأن الاختيار هو أساس المعرفة[٢٧].

• رفض التقريرات الكنسية القائلة بتحمل البشر لخطيئة جدها آدم ﷺ وذلك حين أكل من الشجرة، وتسبب في الخروج من الجنة. يقول: "أرفض الاعتقاد بأن كل سلالة آدم قد حكم عليها بعذاب أبدي لا نهائي، من أجل خطية الرجل الأول (آدم) الذي لم يسمع عنه قط ملايين من الناس"(٢٨).

المطلب الثاني: التعريف بمحمد أركون

محمد أركون فيلسوف، وعلماني، ليبرالي، من أصل جزائري. ولد في عام (١٩٢٨م) في بلدة (تاوريرت ميمون) الأمازيغية بالجزائر. ثم انتقل مع أسرته للعيش في بلدة (عين الأربعاء). حيث درس المرحلة الابتدائية، ثم أكمل الثانوية في منطقة (وهران) لدى مجموعة تنصيرية تسمى (الآباء البيض)، ثم التحق بجامعة الجزائر، فدرس الأدب والقانون والفلسفة والجغرافيا، ثم توسط له المستشرق الفريسي (لويس ماسينيون) ليلتحق بجامعة السربون، في (باريس) بفرنسا، ومنها أخذ الدكتوراه، وكان موضوع أطروحته فيها حول الفيلسوف والمؤرخ (ابن مسكويه)(٢٩).

ومن أكثر ما اشتهر به (أركون) من مواقف ما يلي:

أولا: التزلف للمستشرقين، والمبالغة في تمجيدهم وذكر ما يراه محاسن لهم، في مقابل التهجم على المسلمين عامة، والفقهاء السابقين على وجه الخصوص. يقول عنه السلاوي، مؤكدا هذه الحقيقة: "يظهر جليا لمتتبع كتبه وأبحاثه أنه محكوم برؤية استشراقية مغلفة بغلاف النقد التاريخي العلمي. فهو كغيره من العلمانيين يكن عداءا عميقا وجذريا للإسلاميين، بل ولرجال الدين والعلماء والفقهاء على مر العصور، لكن هو أكثر عدائية مع الإسلاميين. وعامة كتبه وخاصة «قضايا في نقد العقل الديني» مليء بالتهجمات الرخيصة، وطافح بأطنان من التهم البئيسة والاتهامات المجانية الخسيسة، ولا يفرق بين إسلامي وآخر، فالكل متطرفون دوغمائيون دمويون. بينما نراه إذا ذكر أستاذه بلاشير ونحوه من الغربيين والمستشرقين انْحَلَّت حُبْوَتُه وانطلق لسانه كالسيل الجارف تمجيدا وتبجيلا"(٣٠).

ثانيا: الحقد الأعمى على كل ما هو إسلامي، أو يمت للإسلام بصلة. ولعل في ظروف نشأته، وطبيعة بيئته التربوية ما يفسر هذا التوجه في شخصيته؛ فقد ذكرت موسوعة (ويكبيديا) أن محمد أركون تربى عند مجموعة كنسية تسمى (الآباء البيض)، وهي مجموعة تنصيرية، دعمته فرنسا وساعدته بعد احتلالها للجزائر، وكانت أكثر أنشطتها متركزة في منطقة القبائل التي ولد وتربى فيها (محمد أركون).

وكانت هذه المجموعة معروفة في الجزائر بمحاربة الإسلام، واللغة العربية، وقد عملت بكل ما أوتيت من قوة، على إحياء اللهجات المحلية لتحل محل العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم. فلا يستبعد أن يكون (أركون) قد تشرب حقد الإسلام من تربيتهم له، ويشار إلى أن (أركون) كان يتجنب الكتابة باللغة العربية، في أكثر أحواله، ويكتفي بالكتابة بالفرنسية، وبالانجليزية أحيانا. وقد ترجم كتاباته إلى العربية في أكثر الأحيان، شخص سوري اسمه (هاشم صالح) [٣١]

من كتبه الحاملة لفكره الليبرالي:

١- الإسلام الأخلاق السياسة. مركز الإنماء القومي. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨/٢٠٠٧.

٢- الإسلام الأمس والغد. ترجمة علي المقلد. مركز الإنماء الحضاري حلب الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

٣- الأنسنة والإسلام. ترجمة محمود غريب. دار الطليعة بيروت. الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٤- تاريخية الفكر العربي الإسلامي. مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي ترجمة هاشم صالح الطبعة الثالثة ١٩٩٨.

٥- العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب. دار الساقي بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٩٦.

٦- الفكر الإسلامي قراءة علمية. مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، ترجمة هاشم صالح الطبعة الثانية ١

٧- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة، بيروت. الطبعة الثانية ٢٠٠٥.

٨- قضايا في نقد العقل الديني. دار الطليعة بيروت الطبعة الرابعة ٢٠٠٩. [٣٢]

توفي (أركون) سنة (٢٠١٠م) في (باريس) بعد معاناة مع المرض، ودفن في المغرب[٣٣].

الخاتمة:

أولا: النتائج:

بعد تلك الجولة الخفيفة في الفكر الليبرالي، وبعض آثاره في العالم العربي، توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

أولا: أن الليبرالية مذهب فلسفي، تغلغل في الفكر الغربي، من القرن الرابع عشر الميلادي، متأثرة بحركة الإصلاح الديني التي كانت تهز المجتمعات الغربية في تلك الفترة.

ثانيا: أن الليبرالية مذهب فلسفي يقوم على الفردية والحرية والاستقلالية والعقلانية، ويبني على هذه الأركان تصوراته للفكر والحياة.

ثالثا: أن الليبرالية اعتنى بالفرد، دون المجتمع، وادعت مراعاة مصالح الأشخاص على نحو يترتب عليه فساد المجتمعات، وظهور الخلل في استقرارها وأمنها.

رابعا: أن من الآثار التي أحدثتها الليبرالية في الفكر والحياة عامة: غرس الإلحاد والبعد عن الدين في النفوس، وإحداث الخلل في منهج التلقي والاستدلال، والاقتصار على الأخذ بالمحسوسات، وإنكار الغيبيات، وإحياء التراث الفلسفي في المجتمعات المختلفة.

خامسا: أن من الآثار التي أحدثتها الليبرالية في المجتمعات العربية: انتشار الفساد الأخلاقي والرذيلة، وإفساد المرأة، والانبهار بالثقافة الغربية، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم، ونشر الولاء للفكر الغربي ومؤسساته.

سادسا: أن من أبرز أعلام الفكر الليبرالي في الغرب (جون لوك) وهو رجل معروف بالدعوة إلى تقديم العقل على النقل، وبالترويج لمناصرة اليهود في قضاياهم، ومن أعلامها في الشرق (محمد أركون) وهو رجل من أصل جزائري، مشهور بمواقفه المعادية للإسلام، ونفرته عن اللغة العربية.

ثانيا: التوصيات:

بعد الوقوف على حقيقة الفكر الليبرالي، وبعض آثاره على المجتمعات العربية، فإن الباحثة توصي بالآتي:

أولا: تكثيف الجهود العلمية والأكاديمية حول مزيد من البحث عن الليبرالية لكشف أهدافها وأغراضها الفكرية وخطرها على المجتمعات عامة، والإسلامية خاصة.

ثانيا: ضرورة السعي إلى ترجمة بعض الكتابات التي كتبها الليبراليون مما يحوي على خلاصة أفكارهم الخطيرة، على أن يصحب تلك الترجمات دراسات نقدية تبين وجه الخطورة فيها، ومدى مخالفتها لتعاليم ديننا الحنيف.

ثالثا: كشف الليبراليين المنتسبون إلى الإسلام، ممن أصولهم إسلامية، وبيان وجه الخطورة في كتاباتهم؛ ليحذر منهم المسلمون، ويعرفون أغراضهم وأهدافهم في ما

يكتبون.

رابعا: الحرص على بذل مزيد من الجهود في بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وأوجه تقدمها وتفوقها على النظم والمذاهب الفكرية والفلسفية الغربية، لمنع الشباب خاصة من الانبهار بما يروج له أعداء الإسلام من الليبراليين وغيرهم، ضد الشريعة والدين الإسلامي الحنيف.

هوامش البحث:

([1]) تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف بطرس كرم (ص٦٢) الطبعة: الخامسة. منشورات/ دار المعارف. القاهرة. جمهورية مصر العربية .

([2]) ينظر: مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي، لخالد بن حامد الحازمي، مجلة الجامعة الإسلامية (ص٣٢٧) الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

([3]) ينظر: مصطلح فلسفة التربية للحازمي، (ص٣٢٧)

[4] العدد الأول جوان ٢٠١٠ مجلة أنسنة للبحوث والدراسات.

([5]) الإسلام والليبرالية (ص٢٤).

([6]) ينظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها لسليمان بن صالح الخراشي (ص٢٢) ط (١) سنة (١٤٢٩هـ) .

([7]) الإسلام والليبرالية (ص٢٤-٢٥).

([8]) المرجع السابق (ص٢٥-٢٦).

([9]) ينظر: موسوعة العلوم السياسية (ص٤١٠).

([10]) الليبرالية في السعودية والخليج (ص٢٢-٢٣) .

([11]) الإسلام والليبرالية (ص ٥٠-٥١).

([12]) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها لسليمان الخراشي (ص٣٤-٣٥)

([13]) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥/١) برقم (٢٧).

([14]) الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان (ص٧٤)

([15]) ينظر: الإسلام والليبرالية (ص٨٩).

([16]) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، لسيد بن حسين بن عبد الله العفاني (٢٢٥/١) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية.

([17]) تهافت العلمانية في الصحافة العربية، لسالم البهنساوي (ص١٧٦) الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر.

([18]) الإسلام والليبرالية (ص٧٢).

([19]) حقوق الإنسان في الإسلام للشيخ/ عبد الله بن عبد المحسن التركي (ص٧٧) الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ). منشورات/وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.

([20]) أخرجه البخاري في الصحيح (١٣٩/٣) برقم (٢٤٩٣).
([21]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور/سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، (ص٤٢-٤٣) الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
([22]) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة (٢١٠/١).
([23]) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة (٢٠٥/١).
([24]) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة (٢١٦/١-٢١٧).
([25]) ينظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها (ص٤٨-٥٠).
([26]) ينظر: قصة الحضارة، لول ديو رانت (٤٢/٣٤ وما بعدها) ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين. عام النشر: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. منشورات/ دار الجيل، بيروت- لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
([27]) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٧٩٠/٢).
([28]) قصة الحضارة، لول ديو رانت (٥٠/٣٤).
([29]) موقع صيد الفوائد، برابط: HTTPS://SAAINETD/MKTARAT/ALMANI/43.HTM
([30]) العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب (ص١٥) الطبعة: الأولى،١٤٣٢هـ- ٢٠١١م. منشورات/ جريدة السيل.
([31]) ينظر: منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي، بحث ماجستير من إعداد عبد الله المالكي، جامعة أم القرى (ص٨) جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.
([32]) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى السلاوي المغربي (ص٣٨٣-٣٨٤) الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع،القاهرة- جمهورية مصر العربية
([33]) موقع صيد الفوائد، برابط: HTTPS://SAAINETD/MKTARAT/ALMANI/43.HTM

مراجع البحث:

- الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، لشحاتة محمد صقر، ط (١) دار الفتح الإسلامي. القاهرة. مصر.
- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، لسيد بن حسين بن عبد الله العفاني الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية..
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور/سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- تهافت العلمانية في الصحافة العربية، لسالم البهنساوي الطبعة: الأولى،١٤١٠هـ- ١٩٩٠م. الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر.
- حقوق الإنسان في الإسلام للشيخ/ عبد الله بن عبد المحسن التركي الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ). منشورات/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.
- حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها لسليمان بن صالح الخراشي ط (١) سنة (١٤٢٩هـ) .
- الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم. ليوسف العاصي إبراهيم الطويل، الطبعة: الثانية،

١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.منشورات/ دار القلم العربي، مصر.
- شرح العقيدة الطحاوية تحقيق: أحمد شاكر. الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. منشورات/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- صحيح مسلم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة (الأولى) سنة (١٤١٢هـ) منشورات/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب الطبعة: الأولى،١٤٣٢هـ– ٢٠١١م. منشورات/جريدة السبل.
- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى السلاوي المغربي. الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية.
- قصة الحضارة، لول ديو رانت ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين. عام النشر: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م. منشورات/دار الجيل، بيروت– لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- الليبرالية في السعودية والخليج، دراسة وصفية نقدية، لوليد بن صالح الرميزان. رسالة علمية. الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) منشورات/ روافد للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية. بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. منشورات/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية، للدكتور/محمد الفيومي، طبعة سنة (١٤١٠هـ) منشورات/دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة .
- مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد إبراهيم الحمد. الطبعة (الأولى) سنة (١٤٢٦هـ) منشورات/دار ابن خزيمة. الرياض.
- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني طبعة سنة (١٩٨٦م) منشورات/ مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. القاهرة.
- منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي، بحث ماجستير من إعداد عبد الله المالكي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف ومراجعة/ د. مانع بن حماد الجهني. الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ. منشورات/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- موقع صيد الفوائد، برابط: HTTPS://SAAINETD/MKTARAT/ALMANI/43.HTM